رسالة إلى مجلةالأزهر

***

فضيلة الدكتور .. رئيس تحرير الأزهر .
تحية تقدير واحترام . وسلام اللَّه عليكم ورحمته وبركاته .
وبعد .. فقد طالعتــنا مجلتكم الزاهرة ، فى عددها ذى الحجة 1416هـ ، بمـقالٍ للشيـخ / عبد الفتاح السيد جمعان ، بعنوان ((نظرات فى ألفاظ القرآن)) / مادة حجَّ . وقد استرعى انتباهنا أنَّ فضيلته تطرق إلى ذكر اختلاف العلماء فى أيهما أفضل : الحج ماشياً أم راكباً ؟ .
ورغم أنَّه ذكر أنَّ الجمهور على القول : بأن الحجَّ راكـباً أفضل اقتداءاً برسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ، مع كمال قوته وقدرته على المشى ، إلا أنَّه ذكر احتجاج المخالفين بحديث ابن عبَّاسٍ مرفوعاً ((للماشى سبــعمائة حسنة من حسنات الحرم)) ، ولم يعلِّق عليه بشئٍ !! .
وربما أوهم ذلك كثيراً من القـرَّاء صحة الحديث ، فإن عزوه لمخرجيه مع السكوت عنه مشعرٌ بذلك . فرأيت أنَّ من الواجب التنبيه على ما بالحديث من ضعفٍ يوجب بطلان حجيته فى موطن الخلاف ، إذ الأحاديث الضعيفة لها عند معارضتها للصحاح حكم بخلاف حكمها إذا ما لم تُـعارض بأصحِّ منها .
وإنما قال جماعة من المتأخرين بموجبه ؛ لعدم وقوفهم على ضعف الحديث وانتـفاء حجيته ، وأكتـفى هاهنا بذكر كلام الحافظ المناوى فى ((فيض القدير))(2/497) ، فقد قال : ((وهذا كما ترى صريح في أن الحـجَّ ماشـياً أفضل . وبه أخذ جمع ، وهو وجه عند الشافعية ، وذلك لكثرة الأجر بكثرة الخطا . وعكس آخرون ؛ لكون الركوب أبعد عن الضجر وأقل للأذى ، وأقرب للسلامة ، وفي ذلك تمام حجه . وتوسط آخرون بحمل الأول على من سهل عليه المشي ، والثاني على خلافه . والمصحَّح عند الشافعية الثاني بإطلاقه)) .
ولما كان ذلك كذلك ، وجب التنبيه بهذا البيان :

((فصل البيان بضعف أحاديث فضل مشاة الحجاج على الركبان))

احتج القائـلون بأفضلية المشى فى الحج بثلاثة أحاديث ، فهاكها مع بيان تخريجاتها :

(1) ((من حج من مكَّة ماشياً حتى يرجع إلى مكَّة كتب اللَّه له بكل خطوةٍ سبعمائة حسنة ، كلّ حسنة مثل حسنات الحرم . قيل : وما حسنات الحرم ؟ ، قال : لكل حسنة مائة ألف حسنة)) .

منـكر . أخرجه ابن خزيمة (2791) ، والبزار كما فى ((كشف الأستار))(2/25/1120) ، والدولابى ((الكنى))(2/13) ، والطبرانى ((الكبيـر))(12/105/12606) و((الأوسط)) (3/122/2675) ، والحاكم (1/461) ، والبيهقى ((الكبرى))(4/331) و((شعب الإيمان)) (7/538/3695) جميعا من طريق عيسى بن سوادة عن إسماعيل بن أبى خالد عن زاذان عن ابن عباس مرفوعاً به .

قال أبو بكر بن خزيمة : ((إن صحَّ الخبر ، فإن فى القلب من عيسى بن سوادة شيئاً)) .

وقال أبو عبد اللَّه الحاكم : ((صحيح الإسناد)) ، فتعقبه الحافظ الذهبى فى ((التلخيص)) بقوله : ((ليس بصحيح ، أخشى أن يكون كذباً ، وعيسى منكر الحديث)) .

قــلت : هو كما قال ، منكر الإسناد والمتن . وآفته عيسى بن سوادة النخعى .

قال ابن أبى حاتم ((الجرح والتعديل))(6/277/1539) : ((عيسى بن سوادة بن الجعد النخعي . كوفى سكن الري . روى عن : ليث بن أبى سليم ، وعامر بن عبد الله بن الزبير ، وعمرو بن دينار ، والزهري ، وعبد الله بن الحسن ، ومحمد بن المنكدر ، وأبى حازم بن دينار وإسماعيل بن أبى خالد ، وجعفر بن سليمان الضبعي . روى عنه : هشام بن عبيد الله ، ومحمد ابن عبد الله بن أبى جعفر الرازي ، وزنيج ، وعمرو بن رافع ، ويوسف بن واقد ، وعلى بن سعيد سنان ، وأبو سعيد وعثمان . سمعت بعض ذلك من أبى ، وبعضه من قبلى . وسألت أبى عنه فقال : هو منكر الحديــث ضعيف ، روى عن إسماعيل بن أبى خالد عن زاذان عن ابن عباس عن النَّبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم حديثاً منكراً)) .

وقال الحافظ الذهبى ((ميزان الاعتدال))(5/377/6575) : ((عيسى بن سوادة النخعي عن الزهري . قال أبو حاتم منكر الحديث ، وعنه : زنيج ، وعمرو بن رافع ، وأهل الري . وقال ابن معين : كذاب رأيـته)) .

ثم قال (5/377/6576) : ((عيسى بن سواء ـ هكذا بالهمزة المفردة ـ . عن إسماعيل بن أبي خالد ، وعنه محمد بن حميد . قال البخاري في ((الضعفاء الكبير)) : منكر الحديث . حدثني عبد الله حدثنا محمد بن حميد حدثنا عيسى بن سواء حدثنا إسماعيل بن أبي خالد البجلي عن زاذان قال : مرض ابن عباس فجمع أهله ، فقال : يا بني سمعت رسول الله صلَّى اللَّه عليه وسلَّم يقول : ((من حج من مكة ماشيا حتى يرجع إلى المنتهى ؛ كتب الله له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، الحسنة بمائة ألف حسنة)) . قلت : هذا ليس بصحيح)) .

قــلت : هكذا جعله الذهبى ترجمتين : ابن سوادة ، وابن سواء ، ونسب الحديث لابن سواء على ما ورد بـ ((الضعفاء الكبير)) ، والظاهر أنه ابن سوادة ، وإنما وقـع هكذا فى رواية ابن حميد عند البخارى .

والخلاصة ، فالحديث منكر بهذا الإسناد ، ولا تنتهض الحجة بمثـله .

(2) ((إن للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة ، وللماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم . قيل : يا رسول الله وما حسنات الحرم ؟ . قال : الحسـنة بـمائة ألف حسـنة)) .

ضعيـف جداً . أخرجه الفاكهى ((أخبار مكَّة))(1/392/832) ، وأبو الوليد الأزرقى ((أخبار مكَّة))(2/7) ، وأبو نعيم ((أخبار أصبهان))(2/354) ، والمقدسى ((الأحاديث المختارة))(10/51/45) من طرق عن يحيى بن سُـليم الطائفى عن محمد بن مسلم الطائفى عن إبراهيم بن ميسرة عن سعيد بن جبير قال قال ابن عبَّـاس لبنيه : يا بني أخرجوا من مكة مشاةً حتى ترجعوا الى مكة مشاة ، فإني سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : فذكره .

وتابعه عن محمد بن مسلم : عبد الله بن محمد بن ربيعة المصيصى ، وحجاج بن نصير ، وخالفاه على الإسناد والمتن .

أخرجه ابن عدى ((الكامل))(4/258) ، وأبو القاسم الأصبهانى ((الترغيب والترهيب)) (2/7/1037) كلاهما عن عبد الله بن محمد بن ربيعة المصيصى عن محمد بن مسلم الطائفى عن إبراهيم بن ميسرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما آسى على شيءٍ إلا على أني لم أحج ماشياً ، إني سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : ((من حج راكبا كان له بكل خطوة حسنة ، ومن حج ماشياٍ كان له بكل خطوة يخطوها سبعون حسنة من حسنات الحرم)) .

وأخرجه ابن الجوزى ((العلل المتناهية))(2/567/932،931) من طريق حجاج بن نصير عن محمد بن مسلم عن إسماعيل بن أمية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ((من حج من منى الى عرفة ماشيا ؛ كانت له مائة حسنة من حسنات الحرم . قالوا : يا رسول الله وما حسنات الحرم ؟ . قال : الحسنة بألف حسنة)) . قلت : وهذه إسانيد ضعاف كلها لا يصحُّ منها شئ ، ولها ثلاث آفات :

[[الأولى]] ضعف الإسناد . يحيى بن سُليم ، وحجاج بن نصير ، وعبد الله بن محمد بن ربيعة المصيصى ثلاثتهم ضعاف كثيرو الوهم والخطأ ، وعامة أحاديثهم غير محفوظة . وأشدهم ضعفاً المصيصى . قال ابن حبان ((المجروحين))(2/39) : ((كان تُقلب له الأخبار فيجيب فيها ، لا يحل ذكره فى الكتب إلا على سبيل الاعتبار . ولعله أُقلب له على مالك أكثر من مائةٍ وخمسين حديثاً فحدَّث بها كلها ، وعن إبراهيم بن سعد الشئ الكثير)) .

وقال الحافظ ابن حجر ((لسان الميزان))(3/335) : ((وقال الحاكم والنقاش : روى عن مالك أحاديث موضوعة . وقال الخليلي : أخذ أحاديث الضعفاء من أصحاب الزهرى ، فرواها عن مالك . وقال السمعاني في ((الأنساب)) : كان يقلب الأخبار لا يحتج به . وقال أبو نعيم الأصبهاني : روى المناكير)) .

وأما محمد بن مسلم الطائفى ، فإنَّه وإن وثَّق ، واحتج به مسلم ، ففيه ضعف من قبل حفظه . قال عباس بن محمَّدٍ الدورى عن يحيى بن معين : ثقة لا بأس به وابن عيينة أثبت منه ، وكان إذا حدث من حفظه يخطىء ، وإذا حدث من كتابه فليس به بأس . وقال الميموني : ضعفه أحمد بن حنبل على كل حال من كتابٍ وغير كتابٍ . وقال ابن حبان لما ذكره في ((الثقات)) : يخطىء .

قلت : وإنما احتج به مسلم فى ((صحيحه)) فى المتابعات ، وليس له عنده سوى حديثاً واحداً . أخرجه في ((الحيض)) ، قال : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الطَّائِفِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْجُوَيْرِثِ مَوْلَى آلِ السَّائِبِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ قَالَ : ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْغَائِطِ ، فَلَمَّا جَاءَ قُدِّمَ لَهُ طَعَامٌ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا تَوَضَّأُ ؟ ، قَالَ : ((لِمَ ؟ ، أَلِلصَّلاةِ)) .

[[الثانية]] الاضطراب على متنه وإسناده . فأما المتن ، فظاهر من سياقة ألفاظه على الاختلاف بين روايات يحيى بن سليم ، وحجاج بن نصير ،

وعبد الله بن ربيعة المصيصى . فمرة ((سبعمائة حسنة)) ، وثانية ((سبعون حسنة)) ، وثالثة ((مائة حسنة)) !! .

وأما الإسناد : فعلى أربعة ألوان :

[الأول] ((عن إبراهيم بن ميسرة)) كما سلف .

[الثانى] ((عن إسماعيل بن أميَّة)) بدل ((إبراهيم بن ميسرة)) . أخرجه هكذا الطبرانى ((الكبير))(12/75/12522) ، والمقدسى ((الأحاديث المختارة))(10/54/47) كلاهما من طريق إبراهيم بن زياد سبلان ثنا يحيى بن سليم عن محمد بن مسلم الطائفي عن إسماعيل بن أمية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً .

[الثالث] ((عن إسماعيل بن إبراهيم)) بدل ((إسماعيل بن أمية)) . أخرجه هكذا البزار كما فى ((كشف الأستار))(2/26/1121) .

[الرابع] بإسقاط هؤلاء جميعاً ، وروايته ((عن محمد بن مسلم عن سعيد بن جبير)) بلا واسطة . ذكره هكذا ابن أبى حاتم ((علل الحديث))(1/279/826) قال : ((سئل أبي عن حديث رواه يحيى بن سليم الطائفي عن محمد بن مسلم الطائفي عن سعيد بن جبير أن عبد الله ابن عباس قال : يا بني أخرجوا من مكّة مشاة ؛ حتى ترجعوا مشاة حاجين ، فإنّي سمعت رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : ... فذكر نحوه .

قال أبى : محمد بن مسلم عن سعيد بن جبير مرسل . وهذا حديث يروى عن رجل مجهول ، وليس هو بصحيح)) .

[[الثالثة]] الاختلاف على رفعه ووقفه . فقد رواه موقوفاً أبو الوليد الأزرقى ((أخبار مكَّة))(2/7) من طريق زيد الحوارى عن سعيد بن جبير عن ابن عبَّاس أنَّه جمع بنيه عند موته ، فقال : يا بنى لست آسى على شئ كما آسى على أن لا أكون حججت ماشياً ، فحجُّوا مشاةً ، قالوا : ومن أين ؟ ، قال : من مكَّة حتى ترجعوا إليها ، فإن للراكب بكلِّ قدمٍ سبعين حسنة ، وللماشى بكلِّ قدمٍ سبعمائة حسنة من حسنات الحرم)) .

قلت : هكذا رواه موقوفاً ولم يرفعه . وفى إسناده زيد العمى ، وهو ضعيف . وللحديث عن ابن عباس موقوفاً طرق ، ذكرها الطبرى فى ((تفسيره)) ، وليس يصح منها شئ .

*** *** ***

(3) ((للماشى أجر سبعين حجَّة ، وللراكب أجر ثلاثين حجَّة)) .

موضوع . أخرجه الطبرانى ((الأوسط))(7/134/7083) و((مسند الشاميين))(1/59/60) قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر السراج ثنا إسماعيل بن إبراهيم الترجماني ثنا محمد بن محصن العكَّاشي ثنا إبراهيم بن أبي عبلة عن عبد الواحد بن قيس قال سمعت أبا هريرة يقول : قدم على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم جماعة من مزينة ، وجماعة من هذيل ، وجماعة من جهينة ، قالوا : يا رسول الله ! إنا خرجنا إلى مكَّة مشاة ، وقوم يخرجون ركباناً ، فقال النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم : ((للماشي أجر سبعين حجة ، وللراكب أجر ثلاثين حجة)) .

قلت : هذا إسناد واهٍ بمرة . محمد بن محصن هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن عكاشة بن محصن الأسدي ؛ مجمع على تركه ، لم يرضه أحد .

قال يحيى بن معين وأبو حاتم : كذاب . وقال ابن عدى : أحاديثه كلها مناكير موضوعة . وقال ابن حبان : يضع الحديث على الثقات ، لا يحل ذكره إلا على سبـيل القدح فيه . وقال الدارقطني : متروك يـضع .

*** *** ***

وهناك حديث رابع ، وإن لم يذكره القائلون بأفضلية المشى ، ولكنه مندرج فى الباب ، وهو :

(4) ((إن الملائكة لتـصافح ركَّاب الحجاج ، وتعتـنق المـشاة)) .

موضوع . أخرجه البيهقى ((شعب الإيمان))(3/474/4099) من طريـق أبى على حامد بـن محمد الرفا وأبى الحسن أحمد بن إسحاق الطيبى ، كلاهما عن محمد بن يونس نا موسى بن هارون بن أبي الجراح بن خالد بن عثمة نا يحيى بن محمد المديني نا صفوان بن سُـليم عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ((إن الملائكة لتـصافح ركاب الحجاج ، وتعتـنق المـشاة)) .

قال أبو بكر : ((إسناده فيـه ضعف)) .

وقال الحافظ المناوى ((فيض القدير))(2/393) : ((وسبب ضعفه أن فيه محمد بن يونس .

فإن كان الجمال فهو يسرق الحديث كما قال ابن عدي ، وإن كان المحاربي فمتروك الحديـث

كما قال الأزدي ، وإن كان القرشي فوضـاع كذاب كما قال ابن حبان)) اهـ .

قـلت : والحاصل أن راويه على كل احتمال مما يقضى على حديثه بالوضع ، وعلامات الوضع على هذا الحديث لائحة ، لا تخفى على من له بصيرة بعلم الحديث . وإن كنت أكاد أجزم بأنَّه محمد بن يونس القرشى الكديمى المتهم بالوضع ، وذلك لأن كلاً من : أبى على حامد ابن محمد الرفا ، وأبى الحسن أحمد بن إسحاق الطيبى من المعروفين بالرواية عنه . والله أعلم

وكتــبه

الشيـخ أحمد شحاته الألفى

سيدى بشر قبلى . الإسكندرية